محمّد بودية السّنة أولى ماستر

أستاذ محاضر – ب – تخصّص لسانيات تطبيقية

محاضرات في اللّسانيات وقضاياها

المحاضرة الثّالثة: مباحث التوجّه الوظيفي عند رومان جاكبسون

ولد رومان جاكبسون بموسكو في 11 تشرين الأول 1896 من عائلة يهودية روسية عرفت باهتمامها الكبير بالعلوم المختلفة والثقافات المتنوعة، والذي انعكس بدوره على "رومان" فجعل له مكانة مميزة بين أصدقائه. بدأت المرحلة التعليمية الأولى لـ: رومان جاكبسون في مؤسسة كبيرة تسمى "لازاريف" Lazareve. وهناك تأثّر بمجموعة من الأساتذة وبخاصة في مجال تعلم اللغات المختلفة، كالفرنسية والألمانية واللاتينية، مما أهله لأن يعمل مترجما في بعثة الصليب الأحمر، وذلك عندما غادر موسكو سنة 1920 إلى براغ.

وقد كان لهذه المدينة بالذات دور كبير في تكوين شخصيته العلمية، إذ نال فيها الدكتوراه سنة 1930، والتقى فيها –أيضا– بلسانيين كبار أسس معهم "حلقة براغ الألسنية" وكان ذلك في سنة 1926، إلاّ أنّه لم يستقر ببراغ بل واصل رحلاته العلمية إلى أن توفي سنة 1982[1].

ويمكن اجمال المراحل العلمية في حياة جاكبسون فيما يلي:

"1. مرحلة موسكو وهي مرحلة اليقظة الوثّابة.

2. مرحلة براغ: وهي فترة التأسيس، وتتميز بأن جاكبسون بدأ برنامجا منهجيا في اختياره ميادين عدّة ومحددة.

3. المرحلة الأمريكية: وهي مرحلة توطيد الاكتشافات وتوسيعها ضمن إطار مناهج مقّننة"[2].

---

[1] فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص18، 19، 20.

[2] المرجع نفسه، ص21.

- الفونولوجيا عند جاكبسون:

ألف رومان جاكبسون كتابا بعنوان:

"Essais de linguistique générale" (محاولات في اللسانيات العامة)[*]، وخصص قسما كبيرا منه للدّراسة الفونولوجية، واشترك مع صديقه "تروبتسكوي" في نقطة أساسية تتجلى في التّمييز بين الفونتيكا والفونولوجيا، إذ اعتبر أنّ " لفظة الفونولوجيا تُطلق على مجموعة الوظائف اللغوية التي يؤدّيها الصوت في حين تهدف الفونتيك إلى جمع المعلومات حول المادة الصوتية الخاصة من حيث خصائصها الفيزيائية والفيزيولوجية "[3].

وكان أكثر ما اعتمد عليه رومان جاكبسون لتبيان الخصائص الفونولوجية المختلفة للأصوات اللغوية هو التّحليل السمعي ؛ مستعملا أجهزة وآلات خاصة تساعد على دراسة الموجات الصوتية، واستطاع من خلال هذه الدراسة المتطوّرة أن يُحدّد الاختلافات التي يمكن أن تقع بين الوحدات الفونولوجية.

كما أولى جاكبسون أهمية للدراسة الفونولوجية التاريخية مُتتبّعا التغيرات التي تحدث للوحدات الصوتية للغة ما تاريخيا، وهذا عكس ما نادى به "فرديناد دو سوسير" الذي أعطى الأولوية لدراسة التنظيم الفونولوجي الآني للغة.

كما قاده التّحليل السمعي والنطقي المعتمد على الأجهزة والآلات إلى اكتشاف مفهوم جديد، وهو مفهوم السّمات التّمايزية أو المائزة.

– مفهوم السّمات التمايزية عند جاكبسون:

تتجلى السمات التمايزية عند جاكبسون حينما تكون هناك ثنائية فونمية، أو بمعنى آخر عندما يتقابل فونيم وآخر، (الفونيمان b/p يتقابلان في الفرنسية لأنهما يستخدمان في التمييز بين pierre وbière فتقابلهما لا يقوم إلاّ على سمة واحدة وهو بالتالي ليس تقابلا كلّيا شاملا، وإنّما ينحصر في العلاقة بين المجهور (b)

(*) هناك من ترجمه:" مبادئ في اللسانيات العامة".

[3] المرجع نفسه، ص31.

وغير المجهور (p) فنحن لا يمكن أن نميز الفونيم المجهور إلاّ إذا كان هناك فونيم غير مجهور، وهذه الثنائية هي التي تجعل السّمة أكثر وضوحا وأكثر بروزاً[4].

وانطلاقا من هذا فإن التمييز الوظيفي عند جاكبسون لا يحدث باستبدال فونيم بفونيم آخر فقط، بل يحدث –أيضا– بهذه السّمات التمييزية الخاصة، والتي هي أصغر من الفونيم، ذلك لأنّ الفونيم يتكون من ملامح (سمات) عدّة. وقد جمع جاكبسون هذه السمات من خلال دراساته السمعية في اثنتي عشرة سمة، من هذه السمات التضادات التالية: (مجهور/مهموس– غليظ/حاد– رخو/شديد– مزيد/ غير مزيد– شفهي/غنّة– متكثف/منفلس– صائت/صامت..) [5].

– النظرية التواصلية ووظائف اللغة:

لم يتكلّم "فرديناد دوسوسير" عن الدورة التواصلية بمعناها الكامل، إنّما تكلّم عن حلقة الكلام، وذلك بوجود شخصين "أ" و"ب" تكون عملية التواصل بينهما كما يلي[6]:

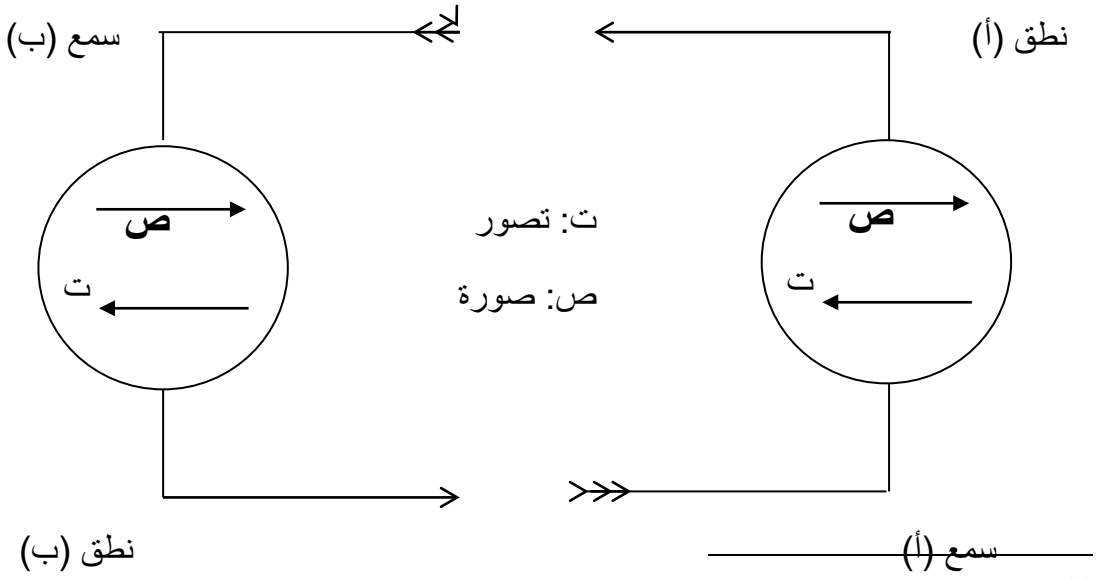

[4] النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص42.

[5] ميشال زكرياء، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص252.

[6] فريناد دوسوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، (د.ط)، ص23.

وقد استعمل "جاكبسون" هذا المفهوم السوسيري للدورة الكلامية ليطوّره إلى نظرية تواصلية تقوم على عناصر ستّة مُشكّلة كالآتي:

محتوى

مرسل.....مرسلة.....مرسل إليه

اتّصال

نظام رموز

و يُفهم من هذا المخطّط أنّ كلّ فعل تواصلي كلامي يكون كما يلي:

"يرسل المرسل مرسلة إلى الملتقط وتتطلب المرسلة بادئا كي تكون فاعلة محتوى تشير إليه ... وهذا المحتوى بإمكان الملتقط أن يفهمه، وهو إمّا كلامي وإما بالإمكان تحويله إلى كلام ومن ثم تتطلب المرسلة تنظيم رموز مشتركة كليا أو جزئيا بين المرسل والملتقط، وتتطلب المرسلة اتصالا، أي قناة فيزيائية، وارتباطا سيكولوجيا بين المرسل والملتقط، ويتيح الاتصال هذا التواصل والاستمرار"[7].

وتتولد عن هذه العناصر الاتصالية الستة وظائف لغوية مختلفة يبرز من خلال كل وظيفة أحد العناصر.

مرجعية

تعبيرية (انفعالية)..... شعرية..... ندائية

إقامة الاتّصال

ما وراء اللغة

---

[7] ميشال زكرياء، الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص85.

1. **الوظيفة التّعبيرية أو الانفعالية:**

وتتمثل هذه الوظيفة في العلاقة التي تحدث بين المرسل والرسالة، كما يبرز من خلالها موقف المرسل، لأنّ الرسالة بطبيعتها تكشف عن صاحبها.

2. الوظيفة الندائية:

تظهر هذه الوظيفة في الجمل التي توجه إلى المخاطب أو المتلقي، إذ تثير انتباهه وينتج عنها ردود أفعال معينة "كما تدخل الجمل الأمرية ضمن هذه الوظيفة." [8]

3. وظيفة إقامة الاتصال:

نستطيع أن نتعرف على هذه الوظيفة من خلال بعض الألفاظ أو المؤشّرات اللغوية التي تستعمل للحفاظ على الاتصال وإبقائه. مثل هذه الألفاظ "ألو".

4. وظيفة ما وراء اللغة:

يتم في هذه الوظيفة شرح ما غمض من المفردات، أو توضيح شفرة الاتصال، وتعتبر هذه الوظيفة "وظيفة واصفة للّغة" [9].

إذ تكون اللغة هنا هي مادّة الدراسة "ومن خلال هذه الوظيفة ننتقل من مستوى الخطاب العادي بين الأشخاص إلى مستوى الخطاب المتخصص العلمي الذي يتقنه العلماء والمختصّون[10].

الوظيفة المرجعية: لهذه الوظيفة أهمية كبيرة، لأنها تجمع كافة العناصر التواصلية كما تتم من خلالها الإفادة والتبليغ، وذلك "عندما تحدد العلاقات بين المرسلة والشيء والغرض الذي ترجع إليه"[11].

---

[8] النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص66.

[9] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص149.

[10] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، 2002، ص30.

[11] النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، ص67.

5. الوظيفة الشعرية:

تتجلى هذه الوظيفة في الجانب الفني الذي يمكن أن نلمسه في المرسلة فالكلمات تكتسب –انطلاقا من هذه الوظيفة– قيمتها التأثيرية، "ويسمّيها جاكبسون الوظيفة الشعرية لأنّ الشعر بموسيقاه وصوره يمثل أو يُصوّر أحسن تصوير الجانب الجمالي الموجود في اللّغة[12].

ما يمكن أن نلحظه على هذه الوظائف الستّ، أنها تختلف في الأهمية وهذه يمكن ردّه إلى اختلاف العناصر التواصلية فيما بينها من حيث الأهمّية، كما يمكن أن تجتمع هذه الوظائف كلّها في كلام واحد. و مثلما تطبق على المنطوق باستطاعتنا أن نطبّقها على المكتوب.

[12] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص31.